

مجمع الأمثال

619 - تَجْجُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيِهَا .

أي لا تكون طمئناً وإن آذاها الجوع ويروى " ولا تأكل ثديها " وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفاً لعَلَقَمَةَ بن خَصَفَةَ الطائي فزاره فنظر إلى ابنته الزَّيْبَاءَ - وكانت من أجمل أهل دهرها - فأعجب بها فقال له : أتيتُكَ خاطباً وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب فقال له علقمة : أنت كُفْءٌ كريم يقبل منك الصَّغْفُو ويؤخذ منك العَفْو فأقيم ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها فقال : إن الحارث بن سليل سيد قوم حَسَباً ومَنْدُصِباً وبيتنا وقد خطب إلينا الزَّيْبَاءَ فلا ينصرفنَّ إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها : أيُّ الرجال أحبُّ إليك : الكَهْلُ الجَحْجَحُ الواصلُ المَنْدَحُ أم الفتى الوَضَحُ ؟ قالت : لا بل الفتى الوضاح قالت : إن الفتى يُغَيِّرُكُ وإن الشيخ يَمَيِّرُكُ وليس الكَهْلُ الفاضل الكثير النَّائِلُ كالحديث السنِّ الكثير [ص 123] المَنْنُ قالت : يا أمتاه إن الفَتَاةَ تحبُّ الفتى كحبِّ الرِّعَاءِ أنيقَ الكَلَالِ قالت : أي بُذَيَّةٍ إن الفتى شديد الحِجَابِ كثير العِتَابِ قالت : إن الشيخ يُبْذِلُني شباي ويدنس ثيابي ويُسْهِمُني بي أترابي فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابْتَذَى بها ثم رَحَلَ بها إلى قومه فبينما هو ذاتَ يوم جالسٌ بفِئَاءِ قومه وهي إلى جانبه إذ أقْبَلَ إليه شَدِيَابٌ من بني أسد يعتلجون فتنفَّستْ مُعَدَاءٌ ثم أَرُخَّتْ عينيها بالبكاء فقال لها : ما يُبْذِرُكِ ؟ قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفُرُوخِ فقال لها : ثَكَلَتِكِ أُمُّكِ تَجْجُوعُ الحرة ولا تأكل بثديها .

قال أبو عبيد : فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر " لا تأكل ثديها " وكان بعضُ العلماء يقول : هذا لا يجوز وإنما هو " لا تأكل بثديها " . قلت : كلاهما في المعنى سَوَاءٌ لأن معنى " لا تأكل ثديها " لا تأكل أَجْرَةَ ثديها ومعنى " بثديها " أي لا تعيش بسبب ثَدْيِها وبما يُغْلَاَنَّ عليها .

ثم قال الحارث لها : أما وأبيك لرُبَّ غَارَةٍ شَهِدَتْهَا وَسَبِيَّةٌ أَرْدَفَتْهَا وَخَمْرَةٌ شَرِبَتْهَا فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك وقال : .

تَهَزَّأتْ أَنْ رَأَتْنِي لابساً كَبِيرَةً ... وغايةُ الناس بين المَوْتِ والكِبَرِ .

فإن بقيتَ لقيتَ الشَّيْبَ رَاغِمَةً ... وفي التعرُّفِ ما يمضي من العِبَرِ .

وإن يكن قد عَلا رأسي وغَيَّرَه ... صَرَفُ الزمانِ وتغييرُ من الشَّعَرِ .

فقد أَرْوَحُ للذِّاتِ الْفَتَى جَذَلَا ... وَفَدَّ أَصِيبُ بِهَا عَيْنًا مِنْ الْبَقَرِ .
عَنِّْي إِلَيْكَ فَإِنِّي لَا تُؤَافِقُنِي ... عُرُ الْكَلَامِ وَلَا شُرْبُ عَلَى الْكَدَرِ .
يُضْرَبُ فِي صِيَانَةِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عَنْ خَسِيسِ مَكَاسِبِ الْأَمْوَالِ